المقتبس

الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث

ذي الحجة سنة ١٣٢٦ موافق يناير (كانون ثاني) سنة ١٩٠٩

الحافظة والحفاظ

ان اهمية هذه القوة اعظم من ان تبين فالذاكرة كل ما يربط وعيه ويحفظه الى ساعة حاجة الانسان اليه . والحافظة من العوامل المؤثرة في رقي الافراد والجماعات ولولاها يصعب الوصول الى ادراك الحقائق وتجميعها لا بل لاضطر الانسان في كل مطلب من مطالب الحياة تجارب من جديد ويحفظ الآثار [illegible] على منواله كما [illegible] له كل يوم بالة وتعلمت العلوم والصناعات والآداب في عصورها الاولى [illegible] مضطرب لا يكون كل امرئها وما يختار

والذاكرة او الحافظة حاسة يحفظ بها النفس في صورة دقة اموراً مضت وآثاراً مضت معي بذلك كما قال مونتين الفيلسوف (١٥٣٣ — ١٥٩٢) وعاء العلم وصوان الحكمة . وقال لاروشفوكو الكاتب (١٦١٣ — ١٦٨٠) اجمع الناس يشكون من حافظتهم وما احد يشكو احد من عقله . وقال آخر ان الذكاء بدون حافظة [illegible] لا [illegible] ينفك بالقيمة فيه . وقال احدهم ان الحافظة والمحاكاة من مقومات الكمال ومقويها لا يستطيع امرؤ ان يخلق شيئاً وينسج على منواله . وقال كورنيل الشاعر يجب على الكاذب ان يكون ذا ذاكرة جيدة . وهذا قال [illegible] اذا كنت كثير [illegible] . وقال [illegible] الاديب الفرنسي ([illegible]) لقد كان للحافظة شأن مهم جداً عند الناس في العصور الاولى اكثر مما صار لها في القرون اللاحقة . كانت الحافظة قبل اختراع الكتابة هي التي تقوم خاصة بحفظ التقاليد الوطنية والدينية ومنه القوانين والعادات والشعر وبذلك كانت هذه الحاسة التي لا نحفل الآن امرها عند قدماء الاغريق متمثلة [illegible]

اختلفت مذاهب الفلاسفة فيما اذا كانت الحافظة حاسة قائمة بذاتها او فيما اذا كان لكل حاسة فينا ذاكرة معينة ومعظم الحكماء وعلماء النفس على ان الحافظة حاسة مستقلة عن بقية حواس الانسان ولا يكاد احد يدرك كيف تعي الحافظة الارقام والاعداد وتحفظ العبارات والمفردات وتحكي اللغات واللهجات وترد الالحان والاصوات ويذهب علماء النفس الى ان الشروط الاساسية اللازمة لجودة الحفظ متوقفة على جودة تركيب انسجة الدماغ وحسن تغذية هذه الانسجة بالدم والشيخوخة من العوامل المؤثرة في ضعف الحافظة لانها ملازمة لضعف تغذية الانسجة ولذلك قالوا ان درجة الحافظة لا تختلف بحسب الاشخاص بل تختلف في الشخص الواحد في ادوار مختلفة من حياته واذا صرفنا النظر عن الآفات العضوية التي تعتريها فان هناك ايضاً احوالاً اقل منها تزيدها ضعفاً الى ضعفها مثل اضطرابات المعدة وسوء الهضم والانيميا فان جميع هذه العوارض في الجسم تؤثر فيها تأثيراً محسوساً

ولتركيب الدماغ وحالته اثر ظاهر في الحافظة فقد ذكر الطبيب الروماني ان رجلاً نسي حتى [illegible] بعد ان اصيب بضربة في رأسه . وزعم البابا كليمنس السادس ان حافظته قويت قوة عجيبة عقب ان أصيب برضة شديدة في دماغه . وكما كانت الحال [illegible] بعد طول في تخصيص الحافظة لشيء معين بالمران تقوى فيهم الملكة الحافظة [illegible] وهي من اللوازم لهم في صناعتهم ورجال الشرطة تقوى فيهم الحافظة في تذكر صور الاشخاص وليس البشر كلهم سواء في الحفظ والاستظهار فمنهم من يحفظون الاشكال الهندسية وهم الذين خلقوا رياضيين بالفطرة ومنهم من يرزقون حافظة قوية في الانغام كالموسيقيين وغيرهم في غير ذلك ومن الناس من يذكرون الكلمات بسرعة غريبة ومن الاطفال من تقرأ لهم بصوت عال عدة صفحات فيستظهرونها في الحال ويتلونها على سامعها لاول مرة . وتذكر الالفاظ خاصة يمتاز بها الاولاد في العادة اكثر من الكبار في السن ممن لا تكون قويت فيهم حاسة التفكر فيحفظون الكلمات التي سمعوها على [illegible] بدون ان يفهموها والسبب في سهولة حفظهم لها ان قوة الفكر فيهم [illegible] وعندما يبدأ التفكر في معظم الناس تضعف الحافظة فيهم وقد تزول من بعضهم . والحافظة اللفظية اذا كانت هي وحدها في الانسان لا تكون له سبيلاً الى التفكر [illegible] ولا أسف على [illegible] لانه يستطيع بقوة التفكر ان يأتي بالجيد من الافكار ولكن الحافظة وحدها قد تكون من اكبر الموانع عن جودة التصور

وعندي ان الحافظة [illegible] في ترقية الفكر الانساني [illegible] بكونها كل شيء [illegible] لا قوة لها لانها واسطة لبقاء الافكار التي حدثت واحسن [illegible] الحصول على افكار جديدة

ثم يعرف القانون الذي [illegible] جوهرها ، [illegible] حقيقته وبنيته . فالغرض من امرها [illegible] القوى ، لا [illegible] كما تقدم ، وان [illegible] والتكرار [illegible] الحافظة [illegible]

ويذكر التاريخ كثيرين من ارباب الحافظة النادرة في [illegible] الحكيم [illegible] ق . م) الذي كان يحكم [illegible] مختلفة ويخاطب امام كل منها [illegible] ، ويدعو كل واحد من جنوده باسمه – وذكروا مثل ذلك عن قورش ملك الفرس وثمستكلس وسيبيون الآسيوي [illegible]

وكان [illegible] حرفاً بحرف [illegible] عرض واحد [illegible]

وكان [illegible] ذو حافظة عجيبة [illegible] القرن السادس [illegible]

* * *

[illegible] الطباعة [illegible] الارض كافة [illegible] الكتب في [illegible]

الى السطور ونقل الصدور والقراطيس والاسفار على الحفظ والاستظهار ، [illegible] الصحف الحافظة وان قربت الشكوك [illegible] الرواية [illegible] الدراية .

انقطع سند الحفظ الاول [illegible] الامة [illegible] من القرآن ، [illegible]

[illegible]

حافظا من لم يحفظ [illegible] من الاحاديث باسانيدها (١) [illegible] كانوا يطلقون اسم المسند على من يروي الحديث باسناده سواء كان عنده علم به او ليس له الا مجرد رواية ، ويطلقون اسم المحدث على من كان ارفع منه والعالم على من يعلم المتن والاسناد جميعا ، والفقيه على من يعرف المتن ولا يعرف الاسناد والحافظ على من يعرف الاسناد ولا يعرف المتن والراوي على من يعرف المتن ولا يعرف الاسناد . وكان السلف يطلقون المحدث والحافظ بمعنى ، والمحدث من عرف الاسانيد والعلل واسماء الرجال والعالي والنازل ، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون وسمع الكتب الستة ومسند احمد بن حنبل وسنن البيهقي ، ومعجم الطبراني وضم الى هذا القدر الف جزء من الاجزاء الحديثية هذا اقل درجاته فاذا سمع ما ذكر ، وكتب الطباق ودار على الشيوخ ، وتكلم في العلل ، والوفيات والمسانيد كان في اول درجات المحدثين ، وكان السلف [illegible]

[illegible]

[illegible]

سأل [illegible] السبكي الحافظ جمال [illegible] عن حد الحفظ الذي اذا انتهى اليه

---

(١) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي .

عن حد ما له أن يطلق عليه الحافظ قال : يرجع الى اهل العرف فقلت واين اهل العرف قليل جدا ؟ فقال : اقل ما يكون ان يكون الرجال الذين يعرفهم يعرف تراجمهم واحوالهم وبلدانهم اكثر من الذين لا يعرفهم ليكون الحكم للغالب فقلت له : هذا عزيز في هذا الزمان ادركت انت احدا كذلك فقال : ما راينا مثل الشيخ شرف الدين الدمياطي ثم قال : وابن دقيق العيد كان له في هذا مشاركة جيدة . وقال فتح الدين بن سيد الناس واما المحدث في عصرنا فهو من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواة واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه فان توسع في ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة اكثر مما يجهله منها فهذا هو الحافظ واما ما يحكى عن بعض المتقدمين من قولهم كنا لا نعد صاحب حديث من لم يكتب عشرين الف حديث في الاملاء فذلك بحسب ازمنتهم .

وقال ابو زرعة الرازي : كان احمد بن حنبل يحفظ الف الف حديث فقيل له وما يدريك قال : ذاكرته فاخذت عليه الابواب . وقال البخاري احفظ مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح . وقال الحاكم في المدخل : كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة الف حديث . سمعت ابا جعفر الرازي يقول : سمعت ابا عبدالله بن وارة يقول كنت عند اسحق بن ابراهيم بنيسابور فقال رجل من اهل العراق : سمعت احمد بن حنبل يقول صح من الحديث سبعمائة الف وكسر ، وهذا الفتى يعني ابا زرعة قد حفظ ستمائة الف حديث . قال البيهقي : اراد ما صح من الاحاديث واقاويل الصحابة والتابعين . وسئل ابو زرعة عن رجل حلف بالطلاق ان ابا زرعة يحفظ مائتي الف حديث هل يحنث قال لا . ثم قال احفظ مائتي الف حديث كما يحفظ الانسان سورة قل هو الله احد وفي المذاكرة ثلثمائة الف حديث وقال ابو بكر محمد بن عمر الرازي الحافظ : كان ابو زرعة يحفظ سبعمائة الف حديث وكان يحفظ مائة واربعين الفا في التفسير والقرآن . وكان اسحق بن راهويه يملي سبعين الف حديث حفظا واسند ابن عدي عن ابي زرعة عن الشعبي قال : ما كتبت سوداء في بيضاء الى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط الا حفظته فحدثت بهذا الحديث اسحق بن راهويه فقال : تعجب من هذا ؟ قلت نعم قال : كنت لا اسمع شيئا الا حفظته وكأني انظر الى سبعين الف حديث او قال اكثر من سبعين الف حديث في كتبي . واسند عن ابي داود الخفاف قال : سمعت اسحق بن راهويه يقول : كأني انظر الى مائة الف حديث في كتبي وثلاثين الفا اسردها واسند الخطيب عن محمد بن يحيى بن خالد قال : سمعت اسحق بن راهويه يقول : اعرف

مكن مائة الف حديث كأني انظر اليها واحفظ سبعين الف حديث عن ظهر قلبي واحفظ اربعة آلاف حديث مزورة. وقال عبدالله بن احمد بن حنبل قال ابي قال داود بن عمرو الضبي وانا اسمع: كان يحدثكم اسماعيل بن عياش هذه الاحاديث بحفظه قال نعم ما رأيت معه كتاباً قط فقال له : لقد كان حافظاً كم كان يحفظ قال شيئاً كثيراً قال : أكان يحفظ عشرة آلاف قال عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف فقال ابي هذا كان مثل وكيع . وقال يزيد بن هرون احفظ خمسة وعشرين الف حديث وقال الآجري : كان عبدالله بن معاذ العنبري يحفظ عشرة آلاف حديث

قال السبكي لم تر عيناي احفظ من ابي الحجاج المزي وابي عبدالله الذهبي والوالد وادعي ان المزي يفوقهما في العلل والمتون والجرح والتعديل مع مشاركة كل منهم لصاحبيه في تميزه بهذه المشاركة البالغة سمعت شيخنا الذهبي يقول ما رأيت أحداً في هذا الشأن احفظ من الامام ابي الحجاج المزي وبلغني عنه انه قال ما رأيت احفظ من اربعة ابن دقيق العيد والدمياطي وابن تيمية والمزي فالاول اعرفهم بالعلل وفقه الحديث والثاني بالانساب والثالث بالمتون والرابع باسماء الرجال . وكان الدمياطي يقول ما رأى شيخنا احفظ من زكي الدين عبد العظيم وما رأى الزكي احفظ من ابي الحسن علي بن المفضل ولا رأى ابن المفضل احفظ من الحافظ عبد الغني ولا رأى عبد الغني احفظ من ابي موسى المديني الا ان يكون الحافظ ابا القاسم بن عساكر ولا رأى ابن عساكر والمديني احفظ من ابي القاسم اسماعيل بن محمد التيمي ولا رأى اسماعيل احفظ من ابي الفضل محمد بن طاهر المقدسي ولا رأى ابن طاهر احفظ من ابي نصر بن ماكولا ولا رأى بن ماكولا احفظ من ابي بكر الخطيب ولا رأى الخطيب احفظ من ابي نعيم وابو نعيم ما رأى احفظ من الدارقطني وابي عبدالله بن منده والحاكم وكان ابن منده يقول ما رأيت احفظ من ابي اسحاق بن حمزة الاصبهاني وقال ابن حمزة ما رأيت احفظ من ابي جعفر احمد بن يحيى بن زهير التستري وقال ما رأيت احفظ من ابي زرعة الرازي واما الدارقطني فما رأى احفظ من نفسه واما الحاكم فما رأى احفظ من الدارقطني وكان يقول الحاكم ما رأيت احفظ من ابي علي النيسابوري ومن ابي بكر ابن الجعابي وما رأى الثلاثة احفظ من ابي العباس بن عقدة ولا رأى ابو علي النيسابوري مثل النسائي ولا رأى النسائي مثل اسحاق بن راهويه ولا رأى ابو زرعة احفظ من ابي بكر بن ابي شيبة وما رأى ابو علي النيسابوري مثل ابن خزيمة وما رأى ابن خزيمة مثل ابي عبدالله البخاري ولا رأى البخاري فيما ذكر مثل علي بن المديني ولا رأى ابو زرعة والبخاري وابن ماجه وابو داود مثل احمد بن حنبل ولا مثل يحيى بن معين ولا ابن راهويه ولا

رأى احمد ورعه مثل يحيى بن سعيد القطان ولا رأى هو مثل سفيان ومالك وشعبة ولا رأوا مثل ايوب السختياني ثم ولا رأى مالك مثل الزهري ولا رأى الزهري مثل ابن المسيب ولا رأى ابن المسيب احفظ من ابي هريرة ولا رأى ايوب مثل ابن سيرين ولا رأى مثل ابي هريرة ثم ولا رأى الثوري مثل منصور ولا رأى منصور مثل ابراهيم ولا رأى ابراهيم مثل علقمة ولا رأى علقمة كابن مسعود

هذا كان مبلغ القوم في حفظ الحديث وروايته مع كثرة المشتغلين به ووفرة الاسانيد والرواة فعجب لو اراد احد طلبة العلم ان يحفظ بعض ما كانوا يحفظونه لاختل [illegible] العلمية الصحيحة وامتنا اكثر وتلك الصفات الخاصة من هذا الفن والقطاع عند افراده القدام الحفاظ الاعلام

كان الحافظ ابو عامر محمد بن سعدون من الحفاظ اعلام الاسلام قال ابن عساكر انه احفظ من لقيته وشيوخ ابن عساكر زهاء الف [illegible] وكان الشيخ ابو الحسن [illegible] يحفظ ما سمعه من مرة واحدة ، وكان الشافعي من احفظ اهل دهره قضى عشرين سنة في علم الادب والتاريخ وقال ما اردت بهذا الا الاستعانة على الفقه ويروى انه نظر في كتاب لابي حنيفة فاكل من اوله الا [illegible] به مستظهرا اياه جميعه . وكان ابن دريد صاحب المقصورة من علماء اللغة كان آية من آيات الله في [illegible] صدره تقرأ عليه دواوين العرب فيسارع الى املائها من حفظه

وقيل ان احمد بن حنبل امام المحدثين كان يحفظ الف الف حديث . وقال سعيد بن جبير من الاعلام التابعين قرأت القرآن في ركعة في البيت الحرام وقال اسمعيل بن عبد الملك كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبدالله بن مسعود وليلة بقراءة زيد بن ثابت وليلة بقراءة غيره هكذا ابدا ولا عجب فهو الذي قال فيه احمد بن حنبل قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه

وكان ابو زرعة الرازي يقول من فهم هذا الكتاب [illegible] الجامع الصحيح فحفظه فهو من الحفاظ ومن حفظه كان احفظ اصحابنا وان المتقدمين من مشايخنا كانوا لا يلقبون احدا حافظا حتى [illegible] ان حفظه [illegible] القضاة والامراء [illegible] وذكر [illegible] الطيب وكان [illegible] ثلاثة آلاف [illegible] في كل واحد [illegible] في الاحكام والشرائع له ، وكان لا [illegible] على رأسه الا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث والمدونة

كان [illegible] الهمداني يحفظ [illegible] في مجلس واحد [illegible] من [illegible]

آخرها وينظر في كتاب نظراً خفيفاً ويحفظ اوراقاً ويؤديها من اولها الى آخرها وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها على ظهر قلبه هذاً ويسردها سرداً وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها · وكان ابو رياش احمد بن ابراهيم من رواة الادب يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة وعشرين الف بيت شعر الا ان ابا محمد المافروخي يرجح عليه لانهما اجتمعا وتشاهدا بالبصرة فتذاكرا اشعار الجاهلية وكان ابو محمد يذكر القصيدة فيأتي ابو رياش على عيونها فيقول ابو محمد الا ان تحفظها من اولها الى آخرها فينشد معه فيتناشدان الى آخرها ثم اتى ابو محمد بعدة قصائد لم يمكن ابو رياش ان يأتي بها الى آخرها وفعل ذلك في اكثر من مائة قصيدة حدثني بذلك من حضر ذلك المجلس معهما — قاله ياقوت في معجم الادباء

وكان الحفظ في كل من شاء من اهل الادب وطلاب العلم على اختلاف عصورهم عند العرب على نحو ما يتبين من تصفح سير رجالهم ولو لم يكن استناد المؤلفين في الاعصر الاولى الى محفوظهم ما تيسر لهم ان يؤلف احدهم عشرات من المجلدات تعجز الهمة اليوم عن جمعها بل عن نسخها

فقد كان العرب قبل البعثة يروون قصائد شعرائهم والوافي حداثتهم كما يأخذون عن احتفالاتهم في سوق عكاظ ومربد البصرة ولم تكن بضاعتهم من ذلك كثيرة لان امراء الكلام لم ينبغوا الا في الاسلام بظهور نور النبوة وفصاحة الكتاب العزيز · وقد تكون الراوية والنسابة ينشد عشرات بل مئات من القصائد كما يحفظ احدنا لهذا العهد الابيات القليلة غير متلعثم ولا متردد · خذ مثلاً لذلك حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ هـ فقد كان على قلة بضاعته من العربية يروي المئات من القصائد للجاهليين والمخضرمين كما يروي احدنا الكتاب ويذكر اشعار العرب وايامهم وانسابهم ولغاتهم كانه يروي قصة وكان ملوك بني امية يرجعون اليه في هذا المعنى ويجلونه منزلة عالية من التجلة والاكرام روى الوليد ابن يزيد الاموي قال له يوماً وقد حضر مجلسه بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية فقال بأني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعرف انك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث فقال ان هذا لكثير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير ولكني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام قال سأمتحنك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه ان يصدقه عنه ويستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة جاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم وزيادة كثيرة

وكان الاصمعي المتوفى سنة ٢١٦ او قبلها صاحب نحو ولغة واماماً في اخبار العرب وملحهم وغرائبهم قال عمر بن شبة سمعت الاصمعي يقول احفظ ستة عشر الف ارجوزة وقال اسحق الموصلي لم ار الاصمعي يدعي شيئاً من العلم فيكون احد اعلم به منه . وحضر يوماً عند الفضل بن الربيع هو وابو عبيدة معمر بن المثنى فقال له كم كتابك في الخيل فقال الاصمعي مجلد واحد فسأل ابا عبيدة عن كتابه فقال خمسون مجلدة فقال له قم الى هذا الفرس وامسك عضواً عضواً منه وسمه فقال لست بيطاراً وانما هذا شيء اخذته عن العرب فقال للاصمعي قم انت فافعل ذلك فقام الاصمعي وامسك بناصيته وشرع يذكره عضواً عضواً ويضع يده عليه وينشد ما قالت العرب فيه الى ان فرغ منه . قال ابو احمد بن الطيب بن اسماعيل شهدت ابن ابي العتاهية وقد كتب عن ابي محمد اليزيدي قريباً من الف جلد عن ابي عمرو بن العلاء خاصة ويكون ذلك نحو عشرة آلاف ورقة لان الجلد عشر ورقات .

قال ابو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال . قلت ولذلك جاء شعر ابي نواس احسن شعر المولدين كما شهد له بذلك اصحاب الشأن في هذه الصناعة وفي مقدمتهم الجاحظ الذي فضل شعره على شعر العرب العرباء . قال اسمعيل بن نوبخت ما رأيت قط اوسع علماً من ابي نواس ولا احفظ منه مع قلة كتبه ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له الا قمطراً فيه جزاز مشتمل على غريب ونحو

قال ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب دخل ابو عمرو اسحق بن مرار الشيباني البادية ومعه دستيجتان من حبر فما خرج حتى افناهما بكتب سماعه عن العرب . وكان ابو عمرو عالماً بايام العرب حافظاً لاشعارها . وروي عن عمرو بن ابي عمرو قال لما جمع ابي اشعار العرب كانت نيفاً وثمانين قبيلة . وكان كلما عمل منها قبيلة واخرجها الى الناس كتب مصحفاً بخطه . ويحكى انه اخذ عن المفضل الضبي دواوين العرب وتحملها عنه ابو حسان وابنه عمرو بن ابي عمرو . وحكى ابو العباس قال كان مع ابي عمرو الشيباني من العلم والسماع اضعاف ما كان مع ابي عبيدة ولم يكن من اهل البصرة مثل ابي عبيدة في السماع والعلم الا انه املى غرائبه كتبه كلها حفظاً لم يأخذ بيده نسخة الا في كتابين ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة . وكان مقدار الكتابين خمسين ورقة . ويقال ان الاصمعي كان يحفظ ثلث اللغة . وكان الخليل يحفظ نصف اللغة وكان ابو محمد يحفظ الثلثين وكان ابو مالك يحفظ اللغة كلها . وكان الغالب على ابي مالك حفظ الغريب والنوادر . وكان ابن الاعرابي احفظ الناس للغات والايام والانساب . قال ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال لي ابن الاعرابي امليت على الناس ما يحمل على اجمال وقال ثعلب انتهى علم اللغة والحفظ الى ابن الاعرابي . وقال

قال: سمعت من الأعراب يقول في كذا، وهذا الأصمعي سمعت من ألف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي.

وكان قتادة علامة عربيا وأعلم الناس في أشعار العرب وأنسابهم. قال أبو عبيدة: ما كنا نفقد كل يوم راكبا من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة يسأله عن خبر أو نسب أو شعر. وكان من أنسب الناس. وكان ابن الكلبي النسابة واسع الرواية ومن أعلم الناس بالنسب، وكان من الحفاظ النادرين قال: حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد. كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام. وصنف ما يزيد على مائة وخمسين كتابا وتوفي سنة ٢٠٤.

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارهم ومثالبهم. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه ومع ذلك كان لا يقيم القرآن إذا قرأه نظرا، وإذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه، وإذا تحدث أو قرأ لحن على اعتقاد المتعلمين. فقد صنف نحو مائتي مصنف وكان يرى رأي الخوارج ولذلك كثر الطاعنون في نسبه ومذهبه وتوفي سنة ٢٠٩.

وكان أبو العباس الأزهري المتوفى سنة ٣٠٥ من رؤوس الحفاظ في أيامه يقول: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من خاطري. وقال أبو بكر الهذلي: لما قدم الحسن بن سهل العراق قال: أحب أن أجمع قوما من أهل الأدب فحضر أبو عبيدة والأصمعي ونصر بن علي الجهضمي وحضرت معهم. وأفضنا مرة في ذكر الحفاظ فذكرنا الزهري وقتادة ومررنا، فالتفت أبو عبيدة فقال: ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى؟ وها هنا من يقول ما قرأ كتابا قط فاحتاج أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج منه. فالتفت الأصمعي وقال: إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير، والأمر في ذلك على ما حكى وأنا أقرب عليه؛ قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع — وكان نظر قبل أن يجلس إليهم في رقاع من حوائج الناس في حاجاتهم ووقع عليها فكانت خمسين رقعة — وأنا أعيد ما فيها وما وقع به الأمير على رقعة رقعة. قال: فأمر فأحضرت الرقاع، فقال الأصمعي: سأل صاحب الرقعة الأولى كذا واسمه كذا فوقع له بكذا، والرقعة الثانية والثالثة حتى مر في نيف وأربعين رقعة. فالتفت إليه نصر بن علي فقال: أيها الرجل أبق على نفسك من العين. فكف الأصمعي.

ومثل هذه الأشياء في هذا العصر يكذبها القوم، ولكنها ثابتة، والله أكبر منها العقل والطبيعي. ويقال إن هذا القدر من الحفظ كان معهودا في القرنين الأولين والقرن الثالث، وقد بلغ فيه الرواة حتى القرن الرابع على هذه الصورة وما تحمله نفس هذا الأوسع

امثال اشباههم في كتب اهل القرون المتأخرة [illegible] الحكايات في [illegible] عشر و الى اليوم ولقد كان العرب في عصور الدولة [illegible] بالمشرق [illegible] في حضارتهم [illegible] حفظهم للمشارقة . فقد كان ابن عبدون اعظم شعراء الاندلس وكتابها متمكناً من الحفظ قال الوزير ابو بكر بن زهر : بينما انا قاعد في دهليز دارنا وعندي رجل ناسخ امرته ان يكتب لي كتاب الاغاني جاء الناسخ بالكراريس التي كتبها فقلت له اين الاصل الذي كتبت منه لاقابل معك به قال ما اتيت به معي فبينا انا معه في ذلك اذ دخل رجل بذ الهيئة عليه ثياب غليظة اكثرها صوف وعلى رأسه عمامة قد لاثها من غير اتقان وقال لي يا بني استأذن لي على الوزير ابي مروان فقلت له هو نائم هذا بعد ان تكلفت جوابه غاية التكلف حملني على ذلك نزوة الصبا وما رأيت من خشونة هيئة الرجل ثم سكت عني ساعة وقال : ما هذا الكتاب الذي بأيديكما ؟ فقلت له ما سؤالك عنه ؟ فقال احب ان اعرف اسمه فاني كنت اعرف اسماء الكتب فقلت هو كتاب الاغاني فقال الى اين بلغ الكاتب منه قلت بلغ موضع كذا وجعلت اتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على صورته فقال وما لكاتبك لا يكتب قلت طلبت منه الاصل الذي يكتب منه لاعارض به هذه الاوراق فقال لم يجئ به معي فقال يا بني خذ كراريسك وعارض قلت بماذا وأين الاصل قال كنت احفظ هذا الكتاب في مدة صباي قال فتبسمت من قوله فلما رأى تبسمي قال يا بني امسك علي قال فامسكت عليه وجعل يقرأ فوالله ان اخطأ واواً ولا فاء قرأ هكذا نحواً من كراستين ثم اخذت له في وسط السفر وآخره فرأيت حفظه في ذلك كله سواء فاشتد عجبي وقمت مسرعاً حتى دخلت على ابي فاخبرته بالخبر وبصفة الرجل فقام كما هو من فوره وكان ملتفاً برداء ليس عليه قميص وخرج حاسر الرأس حافي القدمين لا يرفق على نفسه [illegible] يديه ويقول يا مولاي اعذرني فوالله ما اعلمني هذا الخلف الا الساعة وجعل يسبني والرجل يخفض عليه ويقول ما عرفني وابي يقول هبه ما عرفك فما عذره في حسن الادب ثم ادخله الدار واكرم مجلسه وخلا به فتحدثا طويلاً ثم خرج الرجل وابي بين يديه حافياً حتى بلغ الباب وامر بدابته التي يركبها فاسرجت وحلف عليه ليركبها ثم لا ترجع اليه ابداً فلما انفصل قلت لابي من هذا الرجل الذي عظمته هذا التعظيم قال لي اسكت ويحك هذا اديب الاندلس وامامها وسيدها في علم الآداب هذا ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ايسر محفوظاته كتاب الاغاني — رواه المراكشي

ويروى ايضاً قصة تشبهها قال ابن [illegible] الحميدي آخر من [illegible] اليه [illegible] الادب بالاندلس [illegible]

او ذكر حكاية تتعلق بأدب او مثل سائر او بيت نادر او نكتة مستحسنة منه [illegible] من [illegible] الاقتباس لاحد منهم في الحديث والقرآن والآداب [illegible] على ذلك طول عمره وصدق محبته وافراط [illegible] في ولده هشام وقد رأيت عنده نسخة من [illegible] ابي الطيب قرئت [illegible] او اكثرها عليها [illegible] فقلت له لقد كتبها من [illegible] صحيح وحررت [illegible] فقال لي ما يمكن ان يكون في الدنيا اصل اصح من الاصل الذي كنت منه نقلت [illegible] وجدته قال هو موجود الآن بين ايدينا [illegible] وكذا في [illegible] فقلت [illegible] هو قال لي عن يمينك فعلمت انه يريد الشيخ فقلت [illegible] الاستاذ فقال لي هو اصل [illegible] كنت [illegible] من حفظه فاملت العجب [illegible] الاستاذ [illegible] وقال [illegible] فلما رأى تعجبي قال سيدي [illegible] تعجب احدكم من حفظ ديوان المتنبي والله لقد ادركت اقواماً لا يعدون من حفظ كتاب سيبويه حافظاً ولا يرونه مجتهداً !

ومن [illegible] عن الاندلسيين [illegible] من هذا القبيل ما يملأ اوراقاً كثيرة. وكنت قرأت في الاستقصاء [illegible] من غرق مع السلطان ابي الحسن لما قصد المغرب في البحر باسطوله [illegible] من [illegible] قطعة مع من غرق من العلماء والكتاب والاشراف [illegible] الذي [illegible] في مجلس درسه [illegible] على حديث [illegible] رسالة [illegible]

[illegible] الدين بن الوكيل [illegible] يعرف عند المصريين بابن المرحل من ائمة الشافعية حفظ المفصل في مائة يوم [illegible] والمقامات الحريرية في خمسين يوماً وديوان المتنبي في [illegible] في جمعة واحدة

[illegible] حكايات اهل الاندلس في الحفظ ان الاديب الاوحد [illegible] الاندلس في عصره [illegible] احمد بن ابي [illegible] كان [illegible] في الرواية للاشعار والاخبار [illegible] من [illegible] حضر معه [illegible] وكان ذلك في اول الليل فقال [illegible] ان يحدث عن [illegible] من اول الليل الى ان طلع الفجر [illegible] على [illegible] وهو [illegible]

وقال ابو عمران بن سعيد دخلت عليه يوماً [illegible] الاشراف [illegible] في كتب منها [illegible] المذكور [illegible]

فقال يا ابا عمر [illegible] ان يعيده من بعده يحفظ منه بيتاً ولا احفظه كله فكذبه الحاجب فقال اعيدوه فاعاده وامسكه فابتدأ من اوله حتى قرب نصفه فاستقطعه ابن كعب وشهدنا له بالحفظ وكان آية في سرعة البديهة مشهوراً بذلك قال ابو الحسن بن سعيد المهدي انه في اشبيلية دخل على احد الطلبة شعراً على ان [illegible] على [illegible] رحلة كل ذلك ارتجالاً

قال ابن خلكان كان ابو الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني يحفظ من الشعر والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث المسندة والنسب ما لم ار قط من يحفظ مثله ويحفظ دون ذلك من علوم اخرى منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والاشربة وغير ذلك وذكر صاحب الصبح المنبي ان [illegible] في قوة حافظة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما [illegible] [illegible] حتى يكاد من يحفظ المفصل للزمخشري في ثلاثة ايام وحافظة [illegible]

قال ابو عمرو الشيباني دخلت مرضية [illegible] العرب المصنف فقلت انظروا من يحفظ لكم [illegible] الاغاني [illegible] ابن سيده وهو صاحب المخصص في اللغة الذي طبع مؤخراً اقرأ علي من اوله الى آخره فعجبت من حفظه وقد لازم [illegible] ابن الاعرابي ثلاثاً [illegible] كتاب [illegible] اخبار الاصمعي في الحفظ والرواية اشهر من ان تذكر وكذلك خلف الاحمر [illegible] وكان [illegible] لا يحق في شيء [illegible] وقيل انه كان يحفظ [illegible] الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع

قال ابو الحسن محمد بن علي العلوي كان [illegible] كان يجلس اليه فقال لي ما رأيت احفظ من هذا الفتى [illegible] فسألته كيف فقال [illegible] كان عندي [illegible] كتاباً من كتب الاصمعي يكون [illegible] اليوم واحد فنظر فيه [illegible] وقطعني عن ذلك ان كنت [illegible] حفظه [illegible] ان شاء الله تعالى [illegible] قال [illegible] كنت [illegible] حفظه في هذه المدة [illegible] الكتاب [illegible] من بدء [illegible] الى آخره [illegible] ما [illegible] ذلك [illegible] قال [illegible] ولا [illegible] كثيرة في هذا الباب والله اعلم.
